N! ALL مع جوردان إيزلي

إيمانٌ لا يتزعزع

لا يتزعزع | الجزء الأول | ١ تسالونيكي ١:١-١٠

مقدمة

كثيرون منّا نشأوا بمخاوف طفوليّة من أمورٍ بدت مُرعبةً حقًّا، كالرمال المتحرّكة، والزلازل، ومثلّث برمودا. ومع أن تلك التهديدات بعينها قد لا تكون تحقّقت، فإننا جميعًا نعرف الشعور بالوقوف على أرضٍ غير ثابتة. للحياة طريقةٌ في زعزعة الأرض تحت أقدامنا عبر تشخيصٍ صعب، أو خسارةٍ مفاجئة، أو ثقافةٍ تبدو وكأنها تنجرف أكثر فأكثر بعيدًا عن الحقّ. حين يتزعزع العالم من حولك، يصير السؤال الأهمّ: «على ماذا تقف؟»

عاش المؤمنون في مدينة تسالونيكي القديمة في عالمٍ كان يتزعزع باستمرار. واجهوا مقاومةً شديدة واضطهادًا من أجل إيمانهم الجديد. في رسالته إليهم، يُظهر الرسول بولس لهم، ولنا، كيف يكون لنا إيمانٌ لا يتزعزع في عالمٍ يتزعزع. يوجّههم لا إلى قوّتهم الذاتيّة ولا إلى ظروفهم، بل إلى الأساس الوحيد الصلب حقًّا: شخص يسوع المسيح. إيمانك لا يُبنى على مشاعر هشّة ولا على ظروفٍ مواتية. في المسيح، يمكن أن تكون حياتك غير متزعزعة.

النقاط الرئيسية

١. الإيمان الذي لا يتزعزع متجذّرٌ في الهويّة، لا في البيئة

يبدأ بولس بمخاطبة كنيسة تسالونيكي بوصفها «فِي اللهِ الآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». يُذكّرهم بهويّتهم الحقيقيّة. كان موقعهم الجسديّ تسالونيكي، مدينةً معاديةً ووثنيّة، لكنّ أساسهم الروحيّ كان الله نفسه. هذا تمييزٌ جوهريّ. حين يُبنى ثباتنا على أمورٍ يمكن أن تتزعزع، كالمال والعلاقات والصحّة، سنتزعزع نحن أيضًا. أما حين تكون هويّتنا آمنةً في المسيح، فنحن مسنودون بمن هو فوقنا، لا بما هو حولنا. يمكن أن يكون إيمانك ثابتًا حتى حين لا يكون عالمك كذلك، لأنه مُرسّى في شخص، لا في مكان.

٢. الإيمان الذي لا يتزعزع يُنتج ثمرًا حقيقيًّا، لا مجرّد مشاعر دينيّة

يشكر بولس الله من أجل أهل تسالونيكي لأن إيمانهم كان يُنتج شيئًا ملموسًا. احتفى بـ«عَمَلَ إِيمَانِكُمْ، وَتَعَبَ مَحَبَّتِكُمْ، وَصَبْرَ رَجَائِكُمْ». الإيمان الحقيقيّ المُخلِّص لا يكون سلبيًّا قطّ؛ بل فاعلًا. هذا ليس خلاصًا بالأعمال، بل خلاصًا يعمل. الإيمان يثق بيسوع بما يكفي ليُطيعه. والمحبّة تتعب لأجل الآخرين حتى حين يكون ذلك صعبًا. والرجاء يمنحنا الصبر لنتمسّك، واثقين بمواعيد الله. الإيمان الحقيقيّ لا يبقى في رأسك فحسب. بل ينتقل إلى يديك وقدميك، مُغيّرًا طريقة عيشك.

٣. الإيمان الذي لا يتزعزع يُولَد بقوّة الله، لا بالإقناع البشريّ

يُذكّر بولس الكنيسة بأن الإنجيل جاءهم لا «بِالْكَلاَمِ فَقَطْ، بَلْ بِالْقُوَّةِ أَيْضًا، وَبِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِيَقِينٍ شَدِيدٍ». هناك فرقٌ شاسع بين ما يصنعه الإنسان وما يأمر به الله. يستطيع الناس أن يصنعوا عاطفة، لكنّ الله وحده يقدر أن يصنع قيامة. لم يكن إيمانهم نتيجة حجّةٍ بارعة ولا عرضٍ عاطفيّ. بل كان قيامةً روحيّة، عمل الله. إن كان إيمانك يمكن أن يصنعه الناس، فيمكن أن يُحطِّمه الناس. أما إن وُلِد إيمانك بالروح، فسيُسنَد بالروح.

٤. الإيمان الذي لا يتزعزع يُبرهَن في الاضطهاد، لا يُحفَظ في الراحة

قبِل أهل تسالونيكي الرسالة «فِي ضِيقٍ كَثِيرٍ». احتضنوا يسوع حين كلّفهم ذلك شيئًا. ولم تكن قدرتهم على ذلك بفرحٍ أمرًا طبيعيًّا؛ بل كان فرحًا فائقًا للطبيعة أتى «بِفَرَحِ الرُّوحِ الْقُدُسِ». الإيمان الذي يعمل فقط حين تكون الحياة سهلة إيمانٌ هشّ. يستخدم الله تجاربنا ليُبرهن أصالة إيماننا، مُحوّلًا أصعب مواسمنا إلى أعلى مواعظنا صوتًا. وبسبب صبرهم، صار أهل تسالونيكي قدوةً للمؤمنين في كل مكان. «أُذِيعَ» إيمانهم كصوت بوقٍ، مُقدّمًا برهانًا حيًّا أن يسوع يستحقّ.

الإنجيل ليس مجرّد معلومات؛ بل تحويل. حين يعمل الروح القدس، لا يُعلِمك فحسب؛ بل يُعيد تشكيلك من الداخل إلى الخارج. هذا الإيمان المُمكَّن بالله هو ما يُمكّن المؤمنين من الثبات حين يأتي الاضطهاد. الله لا يُهدر معاناة شعبه. قد يصير أحلك أوديتك شريان حياةٍ لشخصٍ آخر يراقب كيف تتعامل معه. الإيمان الذي لا يتزعزع لا يختبئ في الشدّة؛ بل يشهد في الشدّة. يرجع عن الأوثان، ويخدم الله الحيّ، وينتظر برجاءٍ رجوع المسيح. هذا ممكنٌ فقط لأن يسوع قام من الأموات. ولأنه غلب القبر، فما من شيءٍ تواجهه له القدرة على أن يهزمك في النهاية.

أسئلة للتأمل

1. في أيّ مجالاتٍ من حياتك تُجرَّب لتجد ثباتك وهويّتك خارج كونك «في المسيح»؟ كيف يمكنك أن تُرسّي نفسك بفاعليّة في هويّتك كابنٍ لله هذا الأسبوع؟
2. وصفت الموعظة الفرق بين «الخلاص بالأعمال» و«الخلاص الذي يعمل». بأيّ طرقٍ عمليّة يُنتج إيمانك ثمر العمل والمحبّة والصبر في حياتك اليوميّة؟
3. «أُذيع» إيمان أهل تسالونيكي كشهادةٍ للآخرين، خاصّةً في الاضطهاد. كيف يمكنك أن ترى التحدّيات التي تواجهها الآن فرصةً ليصير إيمانك شهادةً قويّة لمن حولك؟